

أضواء البيان

@ 139 ا وهو ملك له جل وعلا . .

وما ذكره في هذه الآية الكريمة : من الثناء الحسن على ملائكته عليهم صلوات الله وسلامه
بينه في غير هذا الموضع . كقوله تعالى . { عَلَّايَهُمْ مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } ، وقوله تعالى : { وَإِنَّ عَلَائِيَكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } ،
وقوله تعالى : { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . .
مسألة .

أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن : أن الأب إذا ملك ابنة عتق
عليه بالملك . ووجه ذلك واضح . لأن الكفار زعموا أن الملائكة بنات الله . فنفى الله تلك
الدعوى بأنهم عباده وملكه . فدل ذلك على منافاة الملك الولدية ، وأنهما لا يصح
اجتماعهما . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { وَمَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ إِنْ رَأَى
إِلَاهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَالِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } .
الضمير في قوله { مِنْهُمْ } عائد إلى الملائكة المذكورين في قوله : { بَلْ عِبَادٌ
مُّكَرَّمُونَ } والمعنى : أنهم مع كرامتهم على الله لو ادعى أحد منهم أن له الحق في صرف
شيء من حقوق الله الخاصة به إليه فكان مشركاً ، وكان جزاؤه جهنم . ومعلوم أن التعليق يصح
فيما لا يمكن ولا يقع فقوله : { قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ } ، وقوله : { لَوْ
كَانَ فِيهِمْ مَّا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } والمراد بذلك تعظيم أمر الشرك .
وهذا الفرض والتقدير الذي ذكره جل وعلا هنا في شأن الملائكة ، ذكره أيضاً في شأن الرسل
على الجميع صلوات الله وسلامه قال تعالى : { وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى
السَّادِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ } ولما ذكر جل وعلا من ذكر من الأنبياء في سورة (الأنعام) في قوله : {
وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ } إلى آخر من ذكر منهم قال بعد ذلك { ذَالِكَ هُدًى
لِّلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ
عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } .